

لأبي حيان التوحيدي (-٤١٠هـ)
تحقيق : ابراهيم الكيلاني
دار الفكر - دمشق ١٩٦٤
نقد : محمد جبار المعيبد .

ثلاث مرات طبع فيها هذا الكتاب للتوحيدي ، في ثلاثة أقطار عربية دون أن ينال ولو حظا بسيطا من العناية والتحقيـق والاخراج . ولاندري هل المرارة والتعاسة التي لاقاها التوحيدي في حياته ، قد انتقلت الى كتابه هذا دون كتبه الاخرى ؟

لقد طبع هـذا الـكتاب للمرة الاولى مع رسـالة صـغيرة للتوحيدي في مطبعة الجوائب في القسطنطينية سنة ١٣٠١ هـ (١٨٨٣ م) ، وكانت طبعة رديئة محشوة بالاخطاء . الا أن هذا لم يقلل من أهميتها ، لانها طبعت في وقت كان نشر تراثنا فيـه محدودا ، كما كانت من اوائل كتب التوحيدي التي عرفت به .

ثم أعيد طبع الكتاب مرة أخرى سنة ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م) في القاهرة بعنوان (الادب والانشاء في الصداقة والصديق) . وهي على ما يبدو نسخة منقولة من طبعة الجوائب .

وهذا العام طلع علينا الدكتور ابراهيم الكيلاني بطبعة جديدة محققة للكتاب « خلو من التصحيف والتحريف » كما يقول . وصحبة الدكتور الكيلاني لابي حيان قديمة ، فقد حقق له من قبل مجموعة رسائل ، و (مثالب الوزيرين) . الا ان هـذه الصحبة لم تترك على ما يبدو ، أثرا في نفس الدكتور المحقق ، بل لم تجل له شيئا عن ابي حيان وكتبه .

●

فكتابه الاخير (الصداقة والصديق) ، على ما عليه من تانق في الاخراج والطبع ، جاء وأهم صفاته « التحريف والتصحيف » لأن ما فيه من خلط في أسماء الاعلام ووزن الشعر وكتابته ، يجعلنا نقف حائرين ونتساءل : كيف ينسب مثل هـذا العمل لرجل يحمل لقبا علميا كبيرا ك (الدكتوراه) ؟. ونتساءل ، ويتساءل معنا الكثيرون : ما هي خطة المحقق ومنهجه في تحقيق الكتاب ؟. ولعلنا لا نعدو الحق ، ان قلنا : ان الاستاذ المحقق لا يعرف أبسط أصول التحقيق . ولا ندري ما الذي يغريه في طرق مثل هذا الباب .

ولنتصفح الكتاب ونقف عند بعض القليل من الكثـير من التصحيف الذي ناء به الكتاب .

●

١ ـ في ص٢٥ ورد اسم (عبيد الله بن قيس الرقيات) ، وورد مرة أخرى في ص ١٧٠ باسم (ابن قيس الرقيات) ، فما كان من المحقق الا أن وضع الاسمين في فهرس الاعلام ، كلا في مكانه ، واعتبرهما شاعرين لا شاعرا واحدا . كما كتب البيت في المرة الاولى نثرا ، دون أن يكلف نفسه الرجـوع الى ديوان الشاعر لتخريج البيت ووضع الفروق ، ان كان ثمة فروق . ولم يكتف بهذا ، بل وضع أسم (عبد الله) في فهرس الاعلام بدلا من (عبيد الله) كما ورد في نص الكتاب .

●

٢ ـ والشيء نفسه حدث مع (ابن شبة) . فقد ورد مرتين في فهرس الاعلام في مكانين مختلفين . مع ملاحظة ان الاسم في باسم (عمر بن شيبة) و (ابن شبة) . فوضع المحقق الاسمين المرة الاولى مصحف ، والصحيح : عمر بن شبة .

٣ – فى ص ٧٣ (قال عدى بن زيد :

عن المرء لا تسأل وابصر قرينــــــه
فان القرين بالمقـــارن مقتـــدى

وقد ترجم المحقق للشاعر بانه : (عدى بن زيد بن مالك بن عدى الرقاع العاملي المنقطع لمدح الامويين ..) ، وهذا ما لم يقل به احد . فعدى بن زيد المذكور فى متن الكتاب هو : عدى ابن زيد العبادى الشاعر الجاهلى الذى عاش فى الحيرة ، وبيته هذا من قصيدته (المجمهرة) المشهورة التى ذكرها القرشى فى جمهرة أشعار العرب ، كما ينسب هذا البيت لطرفة فى معلقته . ولعل التشابه بين اسمي الشاعرين هو الذى أوقع المحقق فى مثل هذا الخطأ .

●

٤ – فى ص ٨٢ ورد اسم (المنصورى) ، وقد ترجم له المحقق بانه : (أبو العباس أحمد بن محمد بن صالح قال صـاحب الفهرست : كان على مذهب داود من أفاضل (الداوديين ..) ويفسر المحقق (الداوديين) بانهم : (طائفة يتبع أفرادها داود النبي مفضلين اياه على سائر الانبياء ، لهم كتابهم وهو الزبور . فى ديانتهم أسرار لا يبوحون بها ..) .. نعـــم هذا ما كتبه (الدكتور) ابراهيم الكيلانى . ولا ندرى حينما راجع المحقق فهرست ابن النديم (ص ٢١٦ ط . فلوجل) ، هل قرأ عنوان الفصل الذى ترجم فيه للمنصورى ؟.. عنوان الفصل (فى أخبار داود وأصحابه) ، وقد ترجم ابن النديم لداود بانه : (أبو سليمان داود بن على بن داود .. الاصفهانى وهو أول من استعمل قول الظاهر ، وأخذ بالكتاب والسنة ..) ، اذن فداود هذا هو داود الظاهرى صاحب المذهب الفقهى المشهور ، وليس داود النبى .

●

٥ – فى ص ١١٣ ورد (اسود بن يعفر) وهـــو تصحيف من الناسخ . والصحيح (الاسود) . وكان جديرا بالمحقق الاشارة الى ذلك فى الهامش ، أو تصحيحه مع الاشارة ايضا . وفى نفس الصفحة ورد بيت الاسود بن يعفر هكذا :

فلئن أقمت لاظعنن لبــلدة
ولئن ظعنت لارسين أوتادى

بتشديد نون (ارسين) ، والصحيح بتسكين النون ليستقيم الوزن .

٦ – فى ص ١٣٩ ورد (ابن سحيم) ترجمه ب : سحيم عبد بنى الحساس . ولا ندرى كيف يستطيع المحقق أن يقنع القارىء بأن (ابن سحيم) هو (سحيم) ؟.

٧ – فى ص ١٦٢ يقول التوحيدى (وسمعت أبا دلف الخزرجي يقول ..) ، عرف به ، بانه : (أبو دلف القاسم بن عيسى .. أحد قواد المأمون .. توفى سنة ٢٢٥ هـ ببغداد) ، وهــذا شأن المحقق دائما ، مجرد تشابه الاسماء يوقعه فى أبسط الاخطاء ، دون أن ينتبه الى قرينة مهمة وهى (وسمعت) . ولا ندرى كيف يسمع التوحيدى الذى عاش فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى من شخص كان من قواد المأمون ؟. ثم ان هذا ليس (خزرجيا) كما نوه التوحيدى ، وانما هو (عجلي) . والذى أراد التوحيدى هو : (ابو دلف الخزرجي الينبوعى مسعر بن مهلهل ، الرحالة المشهور ، وممن تردد على الصاحب ابن عباد ..) . انظر يتيمة الدهر ٣٥٦/٣

●

٨ – فى ص ٢٠٤ (وحدثني ابن السراج ..) ، يترجمه بانه : (محمد بن السرى السراج النحوى من تلاميذ المبرد .. توفى سنة ٣١٦ هـ) . ولو أخذنا برأى المحقق حول ولادة التوحيدى بانها فى سنة ٣١٠ هـ ، لما عقل ان يروى عن ابن السراج النحوى فى سن السادسة أو الخامسة . والذى أراه أن ابن السراج هذا هو (الصوفى) ، اذ يروى التوحيدى عنه فى نفس الكتاب. ففى ص ٢٩١ يقول (سمعت ابن السراج الصوفى يقول ..) وفى ص ٢٩٣ (حدثنى ابن السراج الصوفى قال ..) . وابن السراج الصوفى غير ابن السراج النحوى (انظر : ابو حيـــان التوحيدى للدكتور عبد الرزاق محيى الدين ص ١٦٢) .

٩ – فى ص ٢٣٨ ورد اسم الشاعر (عبد الرحمن بن حسان) يترجمه فى الهامش ب (حسان بن ثابت بن المنذر ..) ويذهب المحقق فى سرد لحياة حسان بن ثابت ووفاته دون أن يدرك ان المراد (عبد الرحمن) لا (حسان) . ويعلق على بيت عبد الرحمن بانه لم يعثر عليه فى الديوان ، ومن المؤكد انه فتش فى ديوان حسان بن ثابت ، لان عبد الرحمن ابنه لا يوجد له ديوان مطبوع . فتامل !.

●

١٠ – فى ص ٢٥٠ ترجم للاوزاعى فى الهامش ، ثم عاد مرة أخرى ص ٢٣٦ فترجم له مع اختلاف فى الترجمتين . يقول فى الاولى (هو : عبد الرحمن بن عمرو بن أبى عمرو الشامي .. توفى سنة ١٥٥ هـ) وفى الثانية (هو : عبد الرحمن بن يحمد الاوزاعى .. توفى سنة ١٥٧ هـ) .

●

١١ – فى ص ٢٥٧ وردت ثلاثة ابيات دون نسبة وهي :

فلولا ان فرعك حــين ينمى
وأصلك منتمى فرعي وأصلى

وانى ان رميت رميت عظمى
ونالتنى اذا نالتـــك نبلى

لقد انكرتنى انكـــار خوف
يضم حشاك عن شتمى وأكلى

نسبها المحقق فى الهامش الى (جساس بن بشر أو الحارثة ابن بدر الغدانى ، كما جاء فى وحشيات أبى تمام ص ١١٢) ، وهذا وهم من المحقق ، لأن أبا تمام لم ينسب هذه الابيات لأحد . صدرها فقط ب (قال : ..) ! ونسبها (اليمنى) فى هامش الوحشيات الى (العباس بن الوليد بن عبد الملك) . أما مصدر وهم المحقق الكيلانى ، فهو أن القصيدة السابقة لهذه الابيات فى الوحشيات منسوبة الى جساس بن بشر أو حارثة ابن بدر الغدانى ، ولكن المحقق كعـادته ، وبدون تفحص ، (التقط) الاسمين ، ولكن من قصيدة أخرى . وهنا البلية .

١٢ ـ وفعل هنا ما فعله فى الصفحة السابقة ، فقد ورد فى ص ٢٦٠ البيتان التاليان دون نسبة وهما :

اذيتم بقربى منكم ومودتى	فاغنيت عنكم ما اذيتم به منى
واصبحت عنكم غانيا فى عدوكم	واغناكم تقصير رأيكم عنى

نسبهما فى الهامش الى (الربيع بن أبى الحقيق ، كما جاء فى وحشيات أبى تمام ٩٢) وعند مراجعة الوحشيات ، نجد البيتين دون نسبة ، ونجد القصيدة السابقة لهما منسوبة للربيع بن ابى الحقيق ..

●

١٣ ـ فى ص ٣٠٣ ورد بيت عبيد بن الابرص :

قد يوصل النازح النائى وقد يقطع ذو السهمة القريب

وحركة قافيته (الفتح) ، وهذا وهم ، والصحيح (الضم) لأن هذا البيت من مجمهرة عبيد البائية المضمومة . ولأن المعنى لا يستقيم الا بالضم .

●

١٤ ـ فى ص ٣٢٤ (وقال ابن خازم ..) ، والصحيح : أبن أبي خازم ، وهو بشر الشاعر الجاهلي .

●

١٥ ـ فى ص ٣٦٤ (أنشدنا المبرد ، فيما حدثنا به أبو سعيد السيرافى عن ابن السراج عنه ـ أى عن المبرد ـ ..) ثم يذكر خمسة أبيات ينسبها المحقق فى فهرس الشعر الى ابن السراج، ولا ندرى كيف ؟ وهل منشد الشعر هو قائله ؟ ، ثم ان ابن السراج ما هو الا راوية عن المبرد ، وليس الاخير فى سلسلة السند .

ومثل هذا كثير ، ففى ص ١٤٥ (انشد اليزيدى ..) وفى ص ١٥٧ (انشد الاصمعى) و ص ٢١١ (انشدني ابن السكيت) ومثله الصفحات ٢٣٢ و ٤٥٧ .. نسبها جميعا الي منشديها فى فهرس الشعر .

●

١٦ ـ فى ص ٤٥٥ ترجم عبد الله بن الدمينة بأنه (من شعراء العصر العباسى .. قتل عام ١٣٠ هـ) ، وهلا اخبرنا المحقق متى بدأ العصر العباسى ان كان ابن الدمينة من شعرائه؟

●

١٧ ـ فى ص ٢٥٣ ورد البيتان التاليان دون نسبة ، وهما :

فابلغ مصعبا عنى رسولا	وقد يلقى النصيح بكل واد
تعلم أن اكثر من تناجي	وان ضحكوا اليك هم الاعادى

وقد وردا مرة ثانية ص ٤٦٠ منسوبين الى (سويد بن منجوف) . وكان الاجدر بالمحقق أن يشير الى هذه النسبة مع تسجيل الفروق .

١٨ ـ والتعريف بالاعلام الواردة فى الكتاب لا يقوم على أساس عند المحقق . فهو يعرف (عبد الملك بن مروان) و (عائشة) ويترك سواهم ممن امتلأ بهم الكتاب ، بل نرآه بعض الاحيان يترجم لبعض الاعلام مرتين كما حدث فى قيس بن الخطيم والمتلمس والاوزاعى وغيرهم .

●

١٩ ـ أما الفهارس التى وضعها المحقق فما هى الا فوضى من الاسماء ، وكثير من الاعلام فى نص الكتاب لم يوضعوا فى الفهرس ، وبعضهم وضع فى أكثر من موضع لمجرد مجىء الاسم كاملا أو مكنى بـ (ابى وابن) .

وبعد ، أنا لم أتجن على الدكتور المحقق حينما أقول : لم أسجل الا أقل من نصف ما فى الكتاب من أوهام وتحريف . ورجاؤنا أن يتأنى فى المستقبل اذا أراد أن يحقق لنا شيئا جديدا .

